أ. د. محمد عبدالواحد الميتمي
rgnalmaitami@hotmail.com

حطام التأريخ اليمني

توغل في تأريخ السياسة و«الدولة» المشوهة (2)

في الوقت الحاضر ليس هناك من يجادل أو يراهن على عكس ما هو مجمع عليه من قبل المراقبين المحليين والإقليميين والدوليين بأن اليمن يواجه تحديات جسيمة وخطرة تهدد أمنه واستقراره وبقاءه دولة موحدة ومجتمعاً بناءً متضامناً متجانساً ومتعايشاً بصورة سلمية. تتعدد هذه التحديات وتتنوع بين تحديات اقتصادية كالفقر والبطالة وتدني الدخول ومستوى المعيشة والنمو الاقتصادي الضعيف والمتباطئ، واجتماعية كانتشار الأمية والثأر والعصبية القبلية والتعصب الديني والطائفي والسياسي، وصحية كانتشار الأمراض السارية والوبائية بين السكان، وديمغرافية متمثلة في زيادة النمو السكاني وارتفاع معدلات الوفيات بين الأطفال والأمهات بصورة خاصة، وبيئية تتمثل في أزمة المياه الشديدة، والتصحر وتغير المناخ، وأمنية تتمظهر في الحروب المحلية الملتهبة في مناطق مختلفة من البلاد، وانتشار السلاح بكافة أنواعه بما في ذلك السلاح الثقيل بين السكان، وبصورة مكثفة في مناطق جغرافية محددة، وتصاعد نشاط حركة القاعدة، وتزايد الدعوات الانفصالية في جنوب البلاد، وبؤر توتر عسكرية وأمنية في شرق البلاد، وسياسية تتمحور في تمركز السلطة السياسية في يد عائلة متمركزة على ذاتها تمارس كل صنوف الإقصاء السياسي والاجتماعي والجغرافي والاقتصادي، وتعيد إنتاج التخلف وثقافة الكراهية والانقسام الاجتماعي في أخطر مظاهرها، وفي خاتمة المطاف هي شفرة سياسية اجتماعية مورثة لكل ما يلم باليمن اليوم من تشوهات وانكسارات حادة وعنيفة مثل تصاعد ثقافة العنف والتطرف والتمنطق بالقوة الرعناء، والإقصاء الديني والاجتماعي والسياسي وعدم تكافؤ الفرص وانعدام المساواة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. كل تلك تمثل تحديات مجتمعة متضافرة هي في المعطى تهديد حقيقي أمام مستقبل إنشاء الدولة المدنية الديمقراطية وديمومتها وتطورها. غير أن هذه التحديات لم تولد هكذا فجأة ودفعة واحدة، وإنما هي حصيلة تراكم تأريخي للوليد المشوه - للدولتين الشطيرتين اللتين ولدتا في مطلع الستينات في مناخ محلي وإقليمي وعالمي مناهض للدولة المدنية الديمقراطية.

ففي شمال اليمن، قام مجموعة من الضباط الذي درسوا في العراق وفي جمهورية مصر بالإطاحة بواحد من أكثر النظم الاجتماعية تخلفاً في العالم العربي والإسلامي. فعلى الرغم من طبيعة تعقيدات مهمة التغيير، فإن هؤلاء الضباط لم يحضروا أنفسهم لا سياسياً ولا اجتماعياً، لا فكرياً ولا مؤسسياً لهذه المهمة، ولم يمتلكوا أدوات التغيير الاجتماعي والسياسي الناجعة والكافية للتعاطي مع تلك المهمة. وبالمقابل كانت تلك «الدولة-المشروع» واقعة في إطار جاذبية عالمية ذات قطبين ومحاطة بنظام إقليمي معاد لفكرة دولة جمهورية ثورية على حدودها الجنوبية. فاندلعت للتو حرب أهلية دامت ثمان سنوات، عجزت فيها الجمهورية عن بناء مؤسسات الدولة الحديثة وإحداث تنمية اقتصادية واجتماعية متوافقة مع مشرع التغيير. وعلى العكس فقد أدت هذه الحرب إلى إعادة تغيير البنى الاجتماعية لصالح القوى الاجتماعية المتخلفة لكنها الأكثر نفوذاً وتنظيماً وتأثيراً. وخلقت توازناً اجتماعياً جديداً ملكت معه القبيلة والعسكر زمام المبادرة والسيطرة في التشكيلة الاجتماعية، وزاد من ذلك تحالفها مع قوى الإسلام السياسي لطبع مشروع «الدولة» بالطابع الذي عليه حتى اندلاع الثورة الشبابية في فبراير عام 2011 وهي دولة قبلية -ثيوقراطية - عسكرية متدثرة بثياب الجمهورية والديمقراطية.

كانت الكروموسومات الثورية للذين قادوا «الانقلاب» ضد الحكم الإمامي الكهنوتي المتخلف ناقصة جينات الشفرة الوراثية للتغيير العميق و«الثوري» التي تتمحور في مصطلحات الفكر السياسي الحديث في المؤسسات. وبينما هي في طريقها لتلقيح بويضة قوى التغيير الاجتماعي (التنظيمات) نحو التغيير لم تجد سوى فئة من العسكر بالتحالف من نموذج من «القبيلة» المتعطشة للثروة والسلطة والانتقام وقوى الإسلام السياسي التي تنطلق من الميتافيزقا كمرجعية وتراث «الأجداد البعيدين» كسند. ولم يكن حظ الكروموسومات «الثورية» في جنوب اليمن أحسن حالاً، فقد تلاقحت مع بويضة شريطها الوراثي القومي والماركسي الذي لا ينتمي بأي حال إلى الجسد الاجتماعي بصلة. فنشأت مشيمة مشوهة «ماركسية -بوليسية» قادت مسار التغيير، عبر منعطفات مؤلمة وقاسية ومدمرة في أحيان كثيرة، تمثلت في الانقلابات العسكرية والدموية المتلاحقة التي بلغت في «الشطرين» نحو 11 انقلاباً وحرباً أهلية دامية، إلى الواقع الذي نعيشه الآن. لم تتمكن الخلية الجذعية خلال العقود الماضية للنمو من خلق جنين سوى كامل ناضج، وعلى العكس فقد كانت البيئة التي نمت فيها تلك المشيمة مغذية للا-دولة، ومعادية للنهضة والتغيير. فأجهضت كافة الأعضاء المؤسسية التي ترتبط اسماً وموضوعاً بالدولة الحديثة، ونشأت بدلاً عنها مؤسسات قبلية ودينية، وإن تمظهرت في الشكل على أنها «مؤسسات حديثة» خلقت في النهاية جنيناً مشوهاً اسمه الجمهورية اليمنية.

وحينما أعلن عن قيام «الدولة» اليمنية الموحدة في 22 مايو عام 1990 التي جاءت امتداداً طبيعياً لتراث الحكم في النظامين السابقين، جاءت هي الأخرى بمثابة وليد مشوه وناقص الأعضاء والوظائف لاستيعاب متطلبات الدولة اليمنية الحديثة الذي انتظرها المجتمع اليمني وأداء مهام الدولة على النحو المطلوب والمرغوب. حيث استغرق قرار توقيت يوم إعلان الوحدة - وهو مشروع استراتيجي- ربما دقائق وليس ساعات، وهو القرار الذي تم في «نفق لا تضيئه الشمس» فاجأ الجميع بمن فيهم أقرب صناع القرار السياسي في الجمهورية العربية اليمنية وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية. كان الهدف الظاهر لصانعي الوحدة هي تحقيق حلم اليمنيين من فك إسار التشطير والعزلة والتخلف، والتعجيل في إعلانها للحيلولة دون إجهاضه وإفشاله من القوى المحلية والإقليمية المناهضة لقيام الوحدة. ولكن الهدف الخفي كما اتضح لاحقاً هو الهروب إلى الأمام من مصير الانهيار المحتوم لفشل إدارة النظامين السابقين، والاستمرار في الحكم والتمتع بمزاياه على حساب إرادة اليمنيين وأحلامهم وتطلعاتهم بالسلام والأمن والرخاء والتقدم. وكانت النتيجة أن أطاح الهدف الخفي بالظاهر واندلعت حرب 1994 لتعلن لليمنيين والعالم أجمع أن القيادات السياسية في اليمن ليست عاجزة فحسب، ولكنها غير راغبة وغير مؤهلة لإدارة مشاكل البلاد بأنفسها وبطرق سلمية، وأنهم غير صادقين تجاه أحلام ورغبات شعبهم. فأغرقوه في مزيد من العزلة، والفقر والبطالة والتشرذم والتخلف وغياب الأمن والسكينة حتى انطلاقة الثورة الشبابية الشعبية السلمية في مطلع العام الماضي، وهي الآن تفتح آفاق مشروع بناء الدولة المدنية الديمقراطية الحديثة. وحتى يتسنى تحقيق ذلك لا بد من أسس ومرتكزات جوهرية سنناقشها في العدد القادم.

ثورة حتى قيام الدولة

د. عبدالقوي الشميري

مثّل وصول علي عبدالله صالح إلى السلطة خطيئة تاريخية لسبب بسيط: لا يمكن لأمة أو شعب يحترم نفسه السماح لجاهل بأبسط قيم الدولة أن يعتلي كرسي الحكم.

وفي لحظة من غفلة التاريخ كما يقال وغياب عقلاء لديهم حد أدنى من الفكر الناضج وصل علي عبدالله ونصب عينيه البنك المركزي، وبفطرته البدائية رأى فيه العقل الذي يعوضه عن كل نقص وجهل متمثلا قول الشاعر:

فهي اللسان لمن أراد فصاحة
وهي السلاح لمن أراد قتالاً

وقد ذكر بعض المطلعين على تاريخ علي عبدالله صالح أنه أصدر أول أمر إلى البنك المركزي المليء بالعملة الصعبة من عهد الرئيس الحمدي، وكان يشك انه سوف يعمل بأمره لأنه يدرك أن تلك مخالفة لم يسبق إليها أحد من قبله ولكنه فوجئ بتنفيذ أمره نتيجة للاضطراب الذي رافق اغتيال رئيسين.

عندها أدرك أن الحظ ابتسم له وان نقائصه وغياب مؤهلات الحاكم سوف يعوضها البنك المركزي في المرحلة الأولى، ومن البنك المركزي سوف يعوض قوة العقل والفكر بالأمن المركزي ولاحقاً الأمن القومي والحرس العائلي. وحتى يتوافق الواقع مع مستواه الفكري راح يبذل قصارى جهده لخفض قيم الساسة والمثقفين ومستوى التعليم، حتى قيم القبيلة النبيلة حولها إلى قيم رذيلة. كل ذلك حتى لا يظهر انه الناقص معرفة وعلما.

غياب علي عبدالله صالح عن الساحة اليمنية أول خطوة نحو بناء الدولة، صحيح أنها خطوة من ألف ميل يجب علينا الاستعداد له.

إجبار صالح على الرحيل يعيد للقيم الكبيرة مكانتها، ويؤكد أن الشعب اليمني اليوم ليس ذاك الغافل الذي سمح لصغير ان يعتلي مهمة كبيرة. دخل متسللاً وسيخرج متسللا، لم يعد لديه خيارات، بقاؤه في الداخل مستحيل فقد صنع له ثارات مع قوى كثيرة قبلية وحزبية وشخصيات وطنية، وقبل ذلك ثارات مع شعب ثائر. السفر إلى الخارج صار ضمن المحرمات لأن العدالة تنتظره والسجون تستعد لاستقباله.

تفجير الوضع وخلط الأوراق فاته قطارها لأن أي محاولة من هذا القبيل ستحرمه الملجأ الوحيد في الإقليم كالسعودية أو أبو ظبي،المبادرة الخليجية التي وقع عليها وترعاها دول الخليج ومجلس الأمن لن يكون اليوم مقبولا مطلقاً اللعب بها، ولن يكون بمقدور علي عبدالله صالح إعادة اللبن إلى الضرع كما يقال، وأي لعب واستهتار من هذا القبيل يعني أن على علي صالح أن يواجه مصيرا سيسجله التاريخ «الرئيس الذي فوت كل الفرص وبحث بنفسه عن النهاية المزرية».

كان بإمكانه لو عجل الرحيل أن يجوب العالم دون ملاحقة ولكنه أصر على مزيد من سفك الدماء فصار العالم له بالمرصاد. بإمكانه اليوم قبل غدا المغادرة إلى السعودية أو أبو ظبي ولكن لا ندري ماذا ينتظره بعد أيام إذا حال اللعب بالنار لأن هناك أناسا تصنعهم البيئة فتراهم يعيشون أسرى بيئاتهم وظروف تربيتهم عندما تغيب أو يحرمون من المعرفة التي تنتشلهم من واقعهم ومهما بلغت مكانتهم المعنوية والمادية إلا أن تصرفاتهم تكون انعكاسا لذلك، وأصعب ما يحيق بالشعوب أن تكون التصرفات السوقية موجها لأناس وضعتهم الأقدار موضع القرار.

الاعتذار للشعب ممن دعموا أو سكتوا عن حكم صالح

هناك ست جهات عليها الاعتذار للشعب اليمني علي طريق الثورة حتى قيام الدولة:

■ أولا: القوات المسلحة التي استخدمها صالح في عمل غير صالح،حولها من جيش للشعب إلى جيش عائلي، ومن جيش وطني كما نصت أهداف ثورة26 سبتمبر إلى عصا غليظة بيد الجلاد. وقد فعل الجيش المناصر للثورة حسنا عندما أعلن اعتذاره عن دعم نظام علي صالح واستعداد قائد الفرقة للمثول أمام أي محكمة تنصبها دولة الثورة السلمية.

■ ثانياً: على المنظومة القبلية التي استخدمها الديكتاتور لتكريس الاستبداد والظلم والتخلف أن تعتذر للشعب اليمني عن أي دعم أو مساندة أو سكوت خلال ثلاثة عقود. وكما كان اللواء علي محسن شجاعا باعتذاره ممثلا للقوات المسلحة فانه مطلوب من أبناء الشيخ عبدالله بن حسين الأحمر رحمه الله، كممثلين عن أبيهم وعن كل قبائل اليمن، الاعتذار للشعب اليمني، واعتقد أن الشيخ صادق بن عبدالله سوف يفعلها فهو شجاع لا يتردد خاصة عندما يكون الأمر يخص الوطن.

■ ثالثاً:على القوى الحزبية التي كان لها موقف مساند أو ساكت في مراحل مختلفة من حكم الدكتاتور الاعتذار للشعب: الدكتور عبد الوهاب محمود عن البعث، والإخوة عبدالوهاب الآنسي أو محمد اليدومي أو ياسين عبدالعزيز عن التجمع اليمني للإصلاح.

■ رابعا: على رجال المال والأعمال الاعتذار للشعب اليمني على مساندتهم وسكوتهم عن الفساد والظلم الذي مارسه نظام علي صالح ضد الشعب اليمني، وعلى الأستاذ علي محمد سعيد رئيس مجلس إدارة مجموعة هايل سعيد وشركائه ورئيس الغرفة التجارية كممثلين لهذه الفئة الاعتذار للشعب اليمني.

■ خامسا: على علماء الشريعة الذين جبنوا عن قول كلمة الحق عند الرئيس الجائر، وهذه الفئة يمثلها في الاعتذار للشعب الشيخ عبد المجيد الزنداني رئيس هيئة علماء اليمن، أما جمعية علماء اليمن التي أحلت قتل الشعب فلا ينفعها الاعتذار.

■ سادسا:على الدكتور عبد الكريم الإرياني عن نفسه أولاً ونيابة عن الأسر الأخرى التي دعمت أو ساندت أو سكتت عن ذبح صالح قيم الدولة وزرع قيم الفوضى. نعم على الدكتور الإرياني الاعتذار للشعب ثلاث مرات، كونه دعم صالح لعقود وهو الدكتور الذي يعلم أن صالح غير صالح لقيادة دولة كما انه بقي مع صالح بعد أن أوصل اليمن إلى بلاد فاشلة، والاعتذار الأكبر لعدم انفصاله عن صالح رغم الجرائم بحق شباب الثورة السلمية.

اعتذار هذه الفئات الخمس للشعب يعني أننا نتجه نحو بناء الدولة دون تردد وأننا سنقف بكل حزم ضد أي محاولة للانحراف عن الهدف الذي قدم آلاف الشهداء أرواحهم من أجله.

إسقاط بقايا نظام الفساد

إذا كان رحيل علي عبدالله صالح الخطوة الأولى على طريق بناء الدولة تمثل الثورة على منظومة الفساد التي نشرها في كل مكان أبناؤه وأبناء إخوته وإخوته وأصهاره وكافة أقاربه، هؤلاء وصلوا إلى السلطة ونهبوا الثروة في مخالفة فاضحة لمبادئ 26 سبتمبر و14 أكتوبر و22مايو ومبادئ الدستور وكل الأعراف والقيم الإنسانية.

يجب إسقاط منظومة المصالح غير المشروعة في السلطة والثروة التي كرسها حكم صالح لأقاربه، ومثل ذلك إسقاط منظومة المصالح غير المشروعة في السلطة والثروة التي نثرها صالح على خدام نظامه من وزراء وقادة عسكريين وقبليين ومتثاقفين وأدعياء دين وقادة أحزاب مصطنعة وأدعياء مجتمع مدني ورجال أعمال انتهازيين وغيرهم من الطفيليين الذين ازدهر عصرهم في ظل صالح.

أغلب الذين ارتفعت مكانتهم في السلطة والثروة أثناء نظام صالح هم محل استفهام ويجب فحص ملفاتهم بدقة من خلال قضاء نزيه وإعلام مهني عفيف.

تسليم السلاح

لم يعد لعلي عبدالله صالح سلطة حقيقية حتى يسلمها، وفي أيامه الأخيرة سمي تندرا بعاقل حارة السبعين، والذين تحدثوا عن تنحيته عن السلطة أو نقل السلطة كانوا يتحدثون مجازا، والصحيح هو تسليم الأسلحة التي بحوزة أبنائه وأقاربه.

يجب على اللجنة العسكرية العمل خلال أسابيع لتسليم الأسلحة إلى مخازن الشعب وليس للأسرة ثم إعادة توزيعها على وحدات الجيش المختلفة دون تمييز بينها، لأن بقاء السلاح بيد أفراد العائلة أو وحدات وتشكيلات عسكرية بعينها يمثل خيانة لمبادئ الثورة اليمنية ولقيم الدستور. توحيد الجيش اليمني تحت قيادة وطنية واحدة وكذلك الوحدات الأمنية أمر له أولوية.

إن السنين الماضية التي عمل فيها علي صالح على تقسيم القوات المسلحة والأمن ونشر العداوة بينها كاستراتيجية للسيطرة عليها وشل قدرتها على التغيير. إن استراتيجية نشر الصراع بين أبناء القوات المسلحة وبين القبائل والأحزاب تستدعي من الجميع التعجيل بتوحيد الجيش، وعلى الثوار في الساحات والشعب كله الدفع باتجاه سحب السلاح من أيدي العائلة على طريق بناء الدولة اليمنية الحديثة.

لـم نكـن نقصد، منذ الطلعة الأولى لأروع طليعة من شـباب اليمن، أن يؤول المشـهد برمّته إلى عبد ربه منصور ومحمد سالم باسندوة.

فـي الواقع: لم يحدث ذلك. وحتى هذين السـبعينيّين يبدوان منهكيـن كقرصي خبز، وكخيمتين في فلاة. لا داعي لهذا التشبيه، لكنّ «شيخي الجنوب» يبدوان كذلك، فعلاً..

صيـرورة التاريـخ، من وجهة نظر جدلية تاريخيـة، لا تفضي إلى حقائق ووقائع نهائية. بل إلى سـاقية من الوقائع والحقائق التي تغير نفسها كل عشر دقائق. كان هيروقليطس يقول: لا يمكنك أن تستحم في النهر ذاته مرّتين. حتى ماركس يقول الأمر نفسـه. وربما لا يقول ما هو أخطر من ذلك على مسـتوى التفكير التاريخي: إن الحقائق التاريخية ليست حقائق سوى لوقت قصير، ريثما تنشأ حقائق أخرى، إلى ما لانهاية.

مروان الغفوري
thoyazan@yahoo.com

مع عبد ربه، ذاك أفضل جدّاً

الثورة مثل عين المـاء إن «هتنتها اهتتنت» (طلبت هتونها، ماءها) وإن تركتها اندثرت. كان أبو مليكة الحطيئة يستخدم هذه الجملة وهو يتحدث عن الشعر. لكنها تصدق أكثر عندما نتحدث عن الثورة. وما هو الشعر سوى الثورة. بل إن الشعر يصبو في تجلياته الأخيرة إلى أن يكون ثورة مكتملة. أي: لا تنتهي. وكان بابلو نيرود، الشاعر والسياسي واسع الشهرة، يوصف بأنه الشـاعر الذي يثـور على نمطه كل صباح. فقد كان الشعر– بوصفه ثورةً– يعني لنيرودا أن يثور على نمطه مع طلوع الشمس الجديدة. وهكذا هي الحياة برمّتها: شلال، وليست دائرة. وأبداً لن تكون دائرة، لذا لن يعود نظام المسخ صالح، فالحياة شـلال ليس له قرار. كان الشافعي يضرب للثورة مثلاً بالماء: إن سال طابَ، وإن لم يجرِ لم يطب.

فالثورة متتالية عملياتية لا تصل إلى هضبة. ولا تَسـكن، مثـل الماء الذي ينبغي عليه أن يظـل دائماً في الجريان وإلا خرج عـن الفاعلية. كالنهر، نهـر هيروقليطس، الذي ما إن تسـتحم فيه مرة واحدة حتى يكون قد تغير كلياً وتبدّل. هذا الجيل الجديد الذي افتتح حياته الجديدة بالثورة، سيسـتمر على هذه المحجة البيضاء طيلة حياته.

لكـن.. كأن هناك مـن كان يترقب أن تنتهـي الثورة على طريقة الحب الشـرقي «بختامها يتزوج الأبطال». كان نزار قباني يسـخر من الرواية الشرقية للحب، تلك التي ترى في الحبيب مشـروع «كوشـة». الكوشة نفسـها التي انتظرها كثيرون من الثوار ومنظرو الثورة: أن تلبس الثورة الفسـتان الأبيض، نهاية أسبوع التعب والتحضير والصراخ، وتجلس علـى الكوشـة. وربما على طريقـة الفنان محمود ياسـين تهمس الثورة وهي على الكوشـة في أذن عريسـها مطمئنة لـه: الرصاصة لا تـزال في جيبي. ثم تشـغّل أغنية محمد العسـيلي: يللا نعيش في تبات ونبـات. قد يبدو هذا الوعي بالثورة كاريكاتوريا، ولا أتصور سـوى أن شـباب الثورة، الشـباب الجديد، لا يخضعون فهومهم لمثل هذا المستوى من التسطيح.

ليـس المهم، فيمـا أتصور، أن نتجـادل حول هل نجحت الثورة أم لا، بقدر تجريب السـؤال الأخطر: هل نجحت فكرة الثورة نفسها؟

تعالوا نسـتعرض نمـاذج يمكن أن تجيب عن السـؤال الثاني:

عسـكر وضباط النجدة يحتشـدون بصورة كثيفة ويرددون شعارات الثورة. لم يكونوا يرددون شـعارات الثورة وحسب، بل عمدوا إلى ترديد تلك الشـعارات التي راجت في الأيام الأولى من زمن الثورة. بالنسـبة لي فإن هذا المشـهد يقول: كانوا يراقبـون الثورة منذ بداياتها بينما هم ينصبـون ضدها المتاريس. لكنها كانت، بوصف الثورة عنصراً جوهريا في الفطرة البشرية، تسـحبهم في ساقيتها. كما سحبت كل خصومها بمن فيهم يحيى صالح، الدونجوان الذي اضطر في الأخير إلى ارتداء تي شيرت جيفارا. لأن «أنبياءها الجدد» وأعني بهم طلبة الجامعات والفقراء الشـباب من عمال الحراج كانوا يسـوقونها إلى الناس بحسبانها أمّاً للناس، وليست كسارة صخور.

وما إن تحوّلت الثورة إلى «النهر اليمني العظيم» حتى خرج اليمنيون من كل مخابئهم وذهبوا يغترفون. ومعهم خرجت القوات الجوية، الدفاع الساحلي، النجدة، الأمن المركزي، الحرس الجمهوري، التوجيه المعنوي، الأمن السياسـي، كل أولئـك الذين قال صالح إنهـم عناصر قوته في مواجهـة الثورة، خرجوا إلى الماء، إلى النهـر: يبتردون. وبالطبع، هناك مثقفون شديدو الخطورة سيسـخرون من هذا المجاز، لأن الكتابة حول السياسـة كما يفهمونها لا بد أن تكون فارغة من المجاز، كما هي فارغة عندهم من المنهجية أيضاً.

تلميذة صغيرة تتحدث إلى وزير التربية والتعليم عن مديرة مدرستها. تسـتخدم مصطلحات إجرائية متعلقة بالوعي العميق بمسـودة الحقوق والمواطنـة. هكذا دون ارتبـاك، وبلهجة تعزية صافية. تشـير بأصبعها السـبابة إلى صدر الوزير: ترضى لو بنتك.. إلـخ. من غير «حضرتك» أو «معاليك». بينما طفلة أخرى تقول لصالح عبر الكاميرا: سـتخرج من البلد بلا فراش، لأن الفراش ملك للشعب.

فـي المحصلة الختاميـة: لدينا جمهور أصبح عصيّـاً على التطويع، وتقريبـاً: جمهور بلا خوف. وهذا واقع غير مجـرّب تاريخيا، أن يكون لديك «جمهور بلا خوف».

يشـكل هذا الجمهور «بلا خوف» عمقاً ليـس له قرار لمفاهيم الثورة وقيمها الفائقة. على خلاف ما كان يحدث في كل التحولات الكبيرة على المسـتوى الوطني، بما في ذلك تلك الثورات التي لم يمكن الجمهور فيها سـوى كنانة سـهام إن لزم الأمر، معزولاً عنها معرفياً وثقافياً ورؤيويا. فسرعان ما اختطفت تلك الثورة أمام أعين هذا الجمهور الذي لم يستطع حتى أن يلاحظ أن ثورته سـرقت. ذلك أنهـا، في الواقع، لم تكن ثورته. لـم يفهمها كما ينبغي، فلم يحرسـها في الوقت المناسـب. فلا تحرس الجماهيـر ما لا تفهمه، كما لا تفرط في تلك الأمـور التي دفعت لقاءها أثماناً باهظة. يبدو عمـر الثورة، أو الفصل الأول من الثورة، الذي امتد عاماً كاملاً أمراً ضرورياً لكي تحفر الثورة لجذورها المفاهيمية عميقاً في وجدان ووعي الإنسان اليمني المعاصر. الآن أصبحت الثورة أم الحقائق، وأكثرهـا جـلاءً. لا يمكن لجهة ما بعد الآن أن تسـرق «أم الحقائق» أو «الشمس في رابعة النهار». أي: أن تسرق الثورة.

حاليا.. تقريبا: خـرج اليمني الجديد من القمقم، ولم يعد ذلك الجيل المجهول الذي اعتاد أن يهجو اللصوص في القبو. وسيكون من المناسب أن ينتبه السياسـيون جيداً لخطاباتهم. وحتـى أولئك الذين اعتادوا أن يخطبوا في المسـاجد لفترات طويلة وكانوا يقولون ما يشـاؤون بقوة ما يعتقدون أنه الدين. عليهم أن ينتبهوا الآن إلى ما يقولونه. لقد أفسـحت الثورة مجالاً عريضاً لطَيف غير منته من المشيئات الجديدة، التـي نعتقد أيضاً أنها متناغمة مع الفكرة الكلية للدين. ولن يمرر أحدٌ علينا بعد الآن تصوره الوحيد للدين، عندما تكون لدينـا تصوراتنا الصافية والعميقـة. لقد انتهى ذلك الزمن، ولن يتذكره منا أحد سوى من يفتقدونه.

فالثورة لم تسقط نظام صالح، بوصفه نظام أسرة صالح. بل أسـقطت النظـام الأوتوقراطي والبطريركي والكنسـي والأوليغاركي جملة واحدة، ودفعةً واحدة، بأشـكاله الواقعية والممكنة وحتى المستحيلة.

ففي لحظة ما قال صالح، المسخ، إن حكم اليمن كالرقص على ظهور الثعابين. وكانت الحقيقة أن صالح كان هو الثعبان الوحيد الذي يرقص في حديقة الحملان. لكن مشهد ما بعد الثورة ينطق للرئيس القادم بتلك الجملة التي قالها مسـؤول مرمـوق في السـي إي إيه للحكومة الأميركيـة: توقفوا عن ركوب ظهر النمر في الشرق الأوسط. كان يقصد الحكومات المتوحشة. لكن ما يجري الآن هو أن الشعب العربي، اليمني تحديـداً، أصبح هو النمر. ولا أخطر مـن أن يزعم أحدُهم، علـى طريقة ويليام شكسـبير، أنه هو قـادر على «ترويض الشرس» وركوب ظهر النمر. فلم يعُد اليمن سركاً بعد الآن، ولا مسرحاً للأقنعة اللينة والرخوة.

حاليـاً، وهذا رأيي الشـخصي، نعم لعبـد ربه منصور رئيساً انتقالياً في الفترة الانتقالية. نعم للعدالة الانتقالية بما يفضي إلى تسوية حقوق الضحايا وتخليدهم: مقترح: يحول الرئاسة في السبعين إلى متحف للثورة اليمنية، ويقام تمثال عظيم في ميدان السبعين تنحت فيه صور وأسماء كل شهداء الثورة. نعم للحكومـة الانتقالية، ولكل ما هو انتقالي يفيض على الثورة ولا يشفط عناصر قوتها. فالمرحلة الانتقالية، بكل تنويعاتها، هي حصان طروادة العظيم الذي سيتيح للثورة أن تتسلّل إلى كل البنى والمؤسسات والجهات. ستتيح للمجتمع أن يصحح كل خطاياه الاجتماعية والأمنية. سـتمنح الفقراء في إب فرصة لكي يطووا بساط الطغيان المحلي بأقل قدر من الضجيج. وسـتتيح لضباط البحريّة في الحديدة أن يفتحوا الأسوار والشبابيك ويرسلوا في طلب رفاقهم الذين اختطفوا فـي جيبوتي، وأمرهم قائدهم المجرم أن يصلوا عليهم صلاة الميت الغائب. نعم لخلق ترَع وفروع جانبية وسواق من النهر اليمنـي العظيم، لكي تصل إلى أقاصي التاريخ والمسـتقبل: ثورة بلا ضفاف.

الثـورة، أي ثـورة، لا يمكنهـا أن تمكث فـي الميادين علـى طريقة الغلاديتـور، أو المجالـد. من المناسـب أن تخضع لتحـولات جوهرية، تحولات في الشـكل والأداء وفقـاً للحقائق الجديدة وهـذا لا يعني أن يخرج الشباب من الميادين، بل أن تبقى الميادين والخيام حية كما كانت، متناغمة مع الوقائع الجديدة الجيدة غير متصادمة معها.

قلنـا في المقدمة: حتى الحقائق الجديدة هي حقائق مؤقتة غير نهائية فـي طريقها إلى أن تصبح حقائق أخرى فيما بعد. لم يعد النظام، الآن، ثوراً أسـبانيا. لقد أنهك وسـقط على الأرض، وبقـي جزءٌ من جمهوره المراهنين عليه. لم تنته القصة، بالطبع، لكن أيضاً: على الشباب العبقري الذي استخدم الرقعة الحمراء بمهارة فائقة في مواجهته للثور الأسباني حتى أنهكه، على هذا العبقري أن يدرك أن هذه الرقعة الحمراء ليسـت السـكين السويسـرية: وهي تلك السـكين التي تصلح لكل شيء، لفتح الأقفـال، فتح علـب التونة، تقطيع اللحم، تقليـم الأظافر، فتح زجاجات الويسـكي.. إلخ. لكل مغلق مفتاحه الخاص. و«كل غنوة ولها موّال» كما يقول الأدب الشعبي المصري.

أمامنا أقل من ثلاثة أسـابيع. وسيكون لدينا رئيس جديد. هذه ليست خاتمـة الثـورة، لأن الثورة أصبحـت الآن أبدية وأكبر مـن أن تحدها الساحات والميادين، ومتتالية بلا ختام، لأنها النهر الذي لا يمكن أن تنزل إليه مرتين، فسيكون قد تغيّر كلياً. وأيضاً، وبألم أقول: لقد أصبحت من الضخامـة بمكان حتى إنه لم يعد بمقدور أحـدٍ أن يمتلكها وإلا قضت عليه، رغم كل ما بداخله من جوى.

انتقال الجنرال من الستين إلى السبعين سلمياً

أحمد الصباحي
a.alsabahi2010@yahoo.com

ليلة الاثنين قبل الماضي كان النائب عبد ربه أكثر وضوحاً من سابق عهده.. ارتدى الرجل بدلته السماوية، وربطة عنق حمراء، وحلق ذقنه وشاربه، وربط معطفه من الوسط، وابتسم كثيرا لحظه السعيد.

كان الرجل يفرك أصابعه، بينما الرئيس يمارس آخر طقوس الحرب على شباب التغيير، لقد أشفق صالح عليهم وطلب منهم العودة إلى منازلهم لأنه سيعود إلى منزله. كان النائب حينها يعد أنفاسه المتصاعدة بضغط مرتفع.. لم يمارس الكلام، إنما مارس العد والحساب لقياس كم من الوقت تبقى ليحظى بهذه المساحة الشاسعة في القصر الرئاسي.

لقد ملّ النائب منزله في شارع الستين الذي تحول إلى مزار يومي وساحة احتجاج لثوار المؤسسات الحكومية الذين يطالبون بتغيير الفاسدين وعزلهم، في الوقت الذي لم يكن النائب يعرف عنهم أي شيء.

بدا صالح يومها ضعيفاً جسمياً ومعنوياً، وقف لأخذ الصور التذكارية النهائية مع من حضر تلك الكلمة، وأظنه تمسك بمعطف عبد الكريم الإرياني حتى لا يسقط من هول ما حدث.

صالح لم يكن يصدق أنه سيترك مفتاح الرئاسة، وينتقل لحياته الخاصة المليئة بالحيطة والحذر، وعبد ربه أيضا لا يكاد يصدق أنه المستأجر الجديد لدار الرئاسة الذي تهدم مسجده ويوشك أن يكون خالياً من معاني الرئاسة وفخامتها، بعد أن أخلي من أشيائه الثمينة.

لم يكن الرجل طموحاً بالكفاية، وإلا لكان حصل على الحكم ما بين عشية وضحاها، خصوصاً أيام اللحظات الحرجة التي تفرق فيها اغلب الأصحاب والأخلاء عن رئيس الدولة وطالبوه بالرحيل.

اجترح النائب كثيراً من الصعوبات في طريق دفاعه عن حكم صالح، وظل خلال أشهر غياب الرئيس في السعودية للعلاج إثر حادثة جامع النهدين، مترددا بين أن يبقى صامتاً تجاه المذابح التي جرت في شوارع العاصمة وبعض المدن الأخرى، فيحظى برضا الأولاد عنه، أو أن يعلن موقفاً يخشى من خلاله أن تتفرق عنه الحمايات ويمنع حتى من الهروب بجلده.

هل كان النائب حكيما أم أنه ترك فرصة تاريخية لن تعود؟ سؤال يطرحه كثير من المراقبين، وفي كلا الحالتين يبدو أن النائب سلك كلا الطريقتين اللتين أوصلتاه إلى رتبة المشير وسدة الحكم بتوافق محلي وإقليمي دولي لم يحظ به أي رئيس من قبله.

لقد ترك النائب حالة الاستعجال وفضّل أن لا يوكل له عمل شاق بحجم الرئاسة بدون أن يكون له السند والظهر الذي يستند عليه، فوهب له التأريخ الرئاسة مقطوفة الثمار، محفوفة المخاطر، موفورة التأييد.

اجتهد النائب واصطبر خلال العام الماضي، وتلقى ضربات قوية من كل الجهات، هذا الطرف يتهمه بالعمالة للمشترك ويشكك في صدق ولائه، وذلك يدعوه لتأييد الثورة واتخاذ موقف صارم للفتك بالرئيس وتسلم الحكم عندما سنحت له الفرصة حينها. لكنه قرأها قراءة صحيحة، وظل يمارس الصمت والهدوء والعزلة، وتقديم الاعتذار عندما يطلب منه عمل أي شيء كونه غير مؤهل لما يوكل إليه.

عندما سأله مراسل «سي ان ان»: هل صحيح أن نجل الرئيس أحمد مسيطر على دار الرئاسة ويمنع النائب من دخول القصر؟ ارتعد النائب ونفى نفياً قاطعاً أن يكون نجل الرئيس هو المسيطر على دار الرئاسة، قال إن أحمد يداوم في مكتبه، ولا يوجد في القصر سوى النساء والأطفال.. وعندما أكمل المقابلة، اعترف النائب للمراسل أنه كان يقف في قاعة محكمة وليس في طاولة حوار.

الآن عبد ربه أصبح أكثر شجاعة وإقداماً من ذي قبل.. لديه الآن الدعم الداخلي والخارجي والمساندة الدولية والرضا الشعبي لكي يصبح رئيساً توافقياً بدون أدنى منافسة.

الأيام القادمة سيجد النائب عبد ربه منصور نفسه أكثر قدرة وسيطرة على الحكم، يستطيع من خلالها فرض نفوذه والإمساك بنواحي القرار السياسي والعسكري والأمني خلال الأيام القادمة.

يكاد المتابع يجد أنها فرصة تأريخية فتحت للنائب، ودعم ذاتي تحصل عليه محلياً وإقليمياً ودولياً من دون أدنى بحث ومتابعة، كل هذا الدعم تحصل عليه هادي بفضل ثورة الشباب التي قدمته من رجل الظل إلى رجل الحكم وصانع القرار.

أمر آخر قاده إلى هذه الفرصة، هو تحمّله مشاق الضربات المزعجة التي كان يتلقاها من الرئيس خلال العشر السنوات الماضية عندما كان صالح يتطرق في أكثر من خطاب إلى حوادث 13 يناير 1986 الجريمة الدامية التي حصلت في عدن بين طرفي الصراع داخل الحزب الاشتراكي وكان عبد ربه منضماً إلى الطرف الخاسر.

وأكثر من ذلك هو صبره على الأذى والإهمال واللامبالاة من الرئيس الذي جعله كما يصفه البعض «كوز مركوز» ليس بيده أي سلطة أو قرار، ولم يعطه أي صلاحيات سوى مهمة استقبال الوفود وفتح المشاريع الوهمية والزيارات ونقل التهاني والتبريكات من الأخ القائد.

بل إن الرئيس صالح لم يعين النائب منصور هادي إلا مرة واحدة في 1994/10/4، في الوقت الذي يقضي الدستور في المادة 108 بأن يصدر الرئيس المنتخب قراراً بتعيين النائب حالما يفوز. فاز الرئيس صالح في الانتخابات الرئاسية لعامي 1999، و2006 ولم يصدر في كلا الفترتين أي قرار جمهوري بتعيين عبد ربه منصور نائباً له.. بقي عبد ربه نائباً في الأذهان، ولم يدرج حتى في الأوراق بهذه الصفة، وظل الغموض يلف هذا الجنرال الجنوبي العتيد.

دارت الأيام والليالي، وانتقلت ثقل الحاملة إلى كفة عبد ربه وأتت السلطة بما تشتهي رياح النائب. الفرصة جاءت للرجل وهو لم يكن يتوقعها، لكنه بشهادة الجميع يستحقها، بل يعتبر حسب المتخصصين والمراقبين للشأن اليمني خير من يتولى الرئاسة خلال الفترة الانتقالية كونه يحظى باحترام واسع في السلطة والمعارضة وفي الخارج أيضاً. لدى النائب كثير من المهام التي تنتظره، وأبرزها مهمة إنجاز توحيد المؤسسة العسكرية وتقريب وجهات النظر، وإعادة الأمن والسكينة إلى ربوع الوطن، كما أن مشكلة الجنوب لها علاقة حنين وطفولة بالجنرال الجنوبي الوحدوي ويلزمه أن تكون من أولي اهتماماته.

الجنرال المخضرم وضع رهن مرحلة خطيرة جداً، لكن أبرز ما يمكن الاطمئنان إليه أن الرجل له علاقاته بأغلب أطراف الصراع المتحاربة. تربط الرجل علاقة عميقة مع الشمال والجنوب، واللواء علي محسن والمؤتمر والإصلاح على حد سواء، وهذه إضافة قد تمكنه من التحرك بحرية ومساندة من الأطراف السالفة الذكر. لقد عادت الدماء تجري في شرايين النائب، وعاد لتصدر المشهد على غير المعتاد وأصبح واجهة الدولة في كل شيء.

انتقل القائد العسكري البارع من مرحلة الظل إلى الواجهة بعد عقد ونصف من السكون المريب. الجنرال الذي حاز درجة الأركان في روسيا بموجب دراسة حول الدفاع في المناطق الجبلية في استراتيجية الحرب، صاحب الانضباط المعهود، والحس العسكري الحصيف يُنتظر منه التقدم أكثر في الممارسة العملية للحكم والقرار، خصوصا الأسابيع الثلاثة القادمة، حتى يهيئ نفسه، ويجعل أوتاده شديدة الثبات والصلابة.

سيناريو التخلص من فيروس اليمن

مانع سليمان

لم تعد جرعات التخدير تؤثر في يمننا الحبيب لكنها ولدت فيروساً أضر بحياته. إذاً لا بد من وسيلة يحقق من خلالها الصحة المرجوة، كيف لا وهو يرى الطيبة التي خصت بتربته قد استغلت، فجعل من طيب ثمارها وسيلةً ناجحة لبث سمومه حتى تولد عند روادها قناعةً في العزوف عنها والبحث عن أرض أخرى تقل طيبة عنها لسلامتها من السموم وبعدها عن النزاع.

وسيلة التخلص من الفيروس تبدو بعيدة الوجود، ناضل ببعض أطرافه ليستعيد قوة الدفاع عن مجده المهدور وسعده المعدوم، إلا أن القيود قد دقت على كل أطرافه. صرخ لكي يلتفت إليه جيرانه فوجدهم متواطئين عليه، لأن الفيروس الذي انتشر في أجزائه قد أغرى كل من كان يتوقع منه النصرة.

التفت شمالاً فوجد جزءاً منه قد بيع لطرف كان يثق في وفائه له، دب اليأس من الخلاص وأوشك على الاستسلام لواقعه وبدأ اضطراب الشعور بالنهاية، التفت إلى بلدان حالها كحاله لكي يهوّن على نفسه المعاناة التي يعيشها.

لمح في الجهة الغربية تونس تتخلص من فيروسها بطرده عن الجسم كلياً. عاد الأمل إليه في إمكانية التخلص من الوضع الذي هو فيه، تفاجأ بتمكن مصر من حجز فيروسها في مجلد صغير بعيد عن الجسم ليتم التخلص منه كلياً واستئصاله.

قرر تنفيذ نفس الخطوات بنفس الوسائل للتخلص من الفيروس الذي بدأ في الانشطار والتناسل لتدميره، بدأ بالخطوات العملية فقوبلت بصرامة العنف محاولة منه لإخضاع يمن يزهو به العرب انتساباً، قتل الكثير من أبنائه ظناً منه بإمكانية إخماد ثورته العارمة، كان الرد هو الصمود الأسطوري.

شعر الفيروس بحتمية الهزيمة فاستنجد بالجيران الذين تيقنوا بحتمية نجاح الكفاح لشعب يعرفون جيداً حكمته وصلابته، لم يعجبهم ذلك فأوجدوا آلية لمخرج مشرف لعميلهم بالخروج التدريجي مع بقائه برهة ليعيدوا داءه أو إيجاد البديل.

تعامل اليمنيون معها بحذر تام واحتفظوا بحقهم في التخلص من الرئيس الذي أصبح فيروساً يجب استئصاله. طال العراك، استخدمت الحكمة لفكفكة خيوطه الممتدة إلى كل أجزائه، كانت السكين الناعمة هي المخلص من القيود الموثقة به، مع عزوفه عن استخدام السلاح الذي لم يوجد عند غيره لثقته في صموده المعقول.

وجد الفيروس رأسه محاصراً وأجزاءه مفرقة لا تستطيع الالتقاء ولا حتى التحرك، انهارت قواه، قرر حينها الانتحار، فضل أن يكون شاملاً له ولأعدائه، فجّرها حرباً ضروساً.

قرر يمننا الحبيب عدم التعامل بالمثل مع توفر إمكانيات الرد بالمثل وتعامل مع هذه الظاهرة بحصرها في أماكن معينة، وبهذا جنب أجزاء كبيرة منه حرباً كان المراد منها تدمير كل جميل.

حسن التصرف جعل الحزام الأمني للفيروس يقرر التخلص منه بنفسه، ليجنب هذا البلد العظيم فساده، تفاجأ اليمن بتنفيذ الحزام ذلك التصرف الذي اعتبره متهوراً، أيقن أن قضيته منصورة من الجميع، وأن الأسوار التي كانت عائقاً حقيقياً قد تم تدميرها من الداخل.

نظر الجيران إلى عميلهم الجريح، حاولوا إعادة ترتيب أجزائه الممزقة، ولم يدركوا أن الفيروس قد قرر أن يمد ضرره إليهم لاعتقاده أنهم قصروا في حقه. شعر الجيران بمحاولة تطويقهم من قبل بعض كائناته (الحوثي) التي جندها لمثل هذه الظروف، تصدى يمننا لهذه الخطوات بكل صرامة لأنه يدرك أن المواقف التي تصنعها الأحقاد ليست مواقف العظماء ولم يتعامل معهم بالمثل.

أدرك الجار أن الفيروس الذي يريد يمننا التخلص منه خبيث سيتعدى ضرره إليه، فضم جهده مع جهد يمننا وأكد أحقية ومشروعية مطلب جاره الطيب الحكيم.

تحركات الفيروس أحاطت به وتحولت إلى نتائج عكسية عليه، قرر بعدها الرضوخ لواقع الرحيل من الجسم البريء المتضرر منه، وأيقن أن أي خيار آخر معناه سحقه كما سحقت فيروسات شبيهة له (القذافي).

قرر المغادرة ولم يجد استقبالاً من جسم آخر لأنها تخشى ضرره فأخبرهم برغبته في صيانة يقوم بها أي جسم عليه لتخليصه من الجزيئات الضارة، وجد هذا التوجه قبولاً عند بعض الأطراف لأن إمكانيات الصيانة متوفرة لديها.

هنا تجلت مرحلة بداية النهاية لفيروس جعل الفوضى المرتكز الأساسي لوجوده، في هذه اللحظات ستجد الهدوء الشاك في تحقق كل الأهداف التي رسمها يمننا ويسعى إلى تحقيقها.

لقد قدم اليمن أعظم صورة وأجمل رؤية في كيفية الانتفاضة من أجل استعادة الحرية والكرامة والعدل والمساواة. سبيل القتال لم يكن سبيله رغم إجادته فنونه وامتلاكه لأدواته، واجهه النظام بكل قوة وعنف إلا أنه فضل الحكمة في المواجهة والسلم في النضال على الرد بالمثل.

أبهر العالم بصورته الجميلة والرائعة التي لم يرها من قبل، ها هو اليمن يقدم للعالم كل وجه جميل، وعندما ظهر الجمال اتضح قبح وبشاعة النظام، ففي كل جمعة تنبهر بعظمة الساحات اليمنية في كثرة أعداد حضورها وتنسيق صفوفهم وجمال مظهرهم، مما يدل على حضارةٍ راقية في النضال لم يشهد لها التاريخ مثيلاً، وفي نفس الوقت يظهر التخلف والقبح في الكذب الفاضح في ساحة النفاق المشترى والعهر السياسي المبتذل وحيدة معزولة عن الواقع الحضاري، متأخرة عن السير في طريق الرقي بل شكلت محطة عاكسة للتيار العارم.

وفي بداية النهاية توقف هذا المشهد السخيف ولم يبق سوى الصور الرائعة والساحات الجميلة التي أفتخر بأنها أبهرت العالم بعرضها المهيب. هذه ثورة يمني الحبيب فهل لأحد منكم ثورة بحجمها، من وجد ذلك فليبلغنا لنشاركه فيها.

من ثورة الواقع إلى واقع الثورة

مراد إسماعيل

لم تتحول الثورة إلى أزمة سياسية بالمعنى الذي يريد البعض تجييره في رفضه للحلول الأخيرة التي حملتها المبادرة الخليجية، إذا عرفنا أولاً أن معارضي المبادرة ليسوا جميعاً في الثورة و لأجل عيون الثورة: فهناك من يعارض المبادرة لحساسيته من أي دور خليجي وسعودي تحديداً في اليمن، (علاقتنا بالسعودية ودول الخليج علاقة جوار أبدي ومن الأفضل لنا جميعاً أن نجعلها علاقة إخاء استراتيجية لما يخدم المنطقة وسكانها الأشقاء، إلا إذا كان بمقدور المتعضين أن ينقلونا إلى مكان آخر من الكرة الأرضية فهذا أمرٌ آخر!)، وهناك من يعارض المبادرة لأنه متمسك ببقاء علي عبد الله صالح!، وهناك من يعارض المبادرة لأنه مسكون باستنساخ تجارب الثورات بحذافيرها دون النظر لبعض التفاصيل الخاصة بظروف كل بلد وتركيبة الدولة والمجتمع فيه، وهناك من يعارض المبادرة لأنه يرى أنها تستنزف الوقت لمزيد من إنهاك الثورة والثوار، دون النظر إلى أن طول أمد الثورة له دلالة واقعية على صعوبة الحسم بما لا يؤدي إلى حرب كارثية، وأن من أسس النجاح في أي عمل أن تحقق أهدافك بأقل تكلفة!، بغض النظر عن أن الكثير من الثوار يقرون بصعوبة الحسم من جهة الإجماع على طريقته ومن جهة تكاليفه المادية والبشرية، واختلاف الأمر في حالتنا عن الآخرين، ففي تونس ومصر حسم الجيش «الوطني» الأمر لصالح التغيير، وفي ليبيا حسم الدعم العربي والدولي الأمر بالقوة لصالح التغيير!، أين هذا أو ذاك في حالتنا اليمنية؟.

وإذا عرفنا ثانياً أن الثورة لا شك كانت ستنتهي إلى الحسم وهذا الحسم سيقود إلى جملة من الحلول وداخل هذه الحلول ستكون ثغرات وسلبيات كما يحصل في مصر وفي ليبيا، حتى في تونس ما يزال الرئيس المنتخب رئيساً مؤقتاً والبرلمان تأسيسياً، بمعنى أن مثالية الحل أمر مستحيل، كما أن صعوبته أمر حتمي، سواءً قبل الحسم الثوري أو بعده، الذي حصل عندنا في اليمن أن مثل هذه الحلول استبقت الحسم الذي حصل عند مَن سبقونا في الربيع العربي، فالثورة عادةً ما تنتهي بمرحلة انتقالية - كحد أقصى- تشكل دولة ما بعد الثورة، غير أن الإيجابية في حالتنا هي أن الثورة ما تزال هي الضاغط الشعبي لأي خلل يعتور الحلول السياسية والمرحلة الانتقالية الوشيكة.

البعض كان يريد أن تنتهي الثورة وفق مخيلته التي صاغها من ثورات الربيع التي سبقتنا، وهذه القضايا لا يصنعها الخيال، بل الوقائع و الحقائق، ويكفي أن «دموع باسندوة» التي ذرفها تحت قبة البرلمان في جلسة إقرار قانون الحصانة كانت كافية للتعبير عن أن هناك مسالك اضطرارية في الحلول، تدعونا للتفكير بواقعية، لا بمثالية سبق وإن أخذت نصيباً من التفكير والوقت والجهد دون أن تحرز شيئاً يمكن القول إنه «النجاح بأقل تكلفة»، مع الاعتراف والاعتزاز بما قدمته الساحات من نماذج رائعة في الصمود والتضحية بما يمكن أن نسميه بـ«المثالية الممكنة»، وما تزال الساحات هي شوكة الميزان في ترجيح الحلول الممكنة، هي عنفوان البداية ومسك الختام.

نترقب جميعاً يوم الحادي والعشرين من فبراير، ليس حباً في المشاركة في انتخابات محسومة سلفاً لصالح المشير عبد ربه منصور هادي، ولكن لدلالة هذا التاريخ في إسدال الستار النهائي على 33 عاماً مضت بآمالها و آلامها، إنه اليوم الذي يدق فيه الشعب اليمني المسمار الأخير في نعش عهد علي عبد الله صالح، اليوم الذي صنعته هذه الثورة الشبابية الشعبية السلمية، وهو يشبهها بشعبيته وسلميته، بل هو رمز التغيير المتحضر والواعي، وعلى المشير هادي أن يعلم جيداً أن هذه الثورة التي صنعت هذا اليوم قادرة على صنع مثله بالطريقة نفسها إذا لزم الأمر، فلا مجال للانتظار طويلاً، ولم يعد أحد يطرب لصوت الجعجعة الفارغة.